"الحياة" في غراداتشاتش: خط النار بين البوسنيين والصرب

□ غراداتشاتش – من أسعد طه:

■ في البوسنة – الهرسك ألف سارايفو اخرى... هذا هو الانطباع الذي يخرج به اي زائر لمدينة غراداتشاتش الواقعة شمال البوسنة والتي تتعرض لقصف صربي دائم، لم يهدأ الا في الأيام الاخيرة، ويكفي لوصف شدته وعنفه ما قدّرته اوساط الجيش البوسني هناك من ان المدينة تتعرض لحوالي سبعة آلاف قذيفة يومياً. واذا كان لأحد ان يشك في ان ثمة مبالغة في هذا الرقم فان البنايات والمؤسسات والشوارع في المدينة خير شاهد، فالبنية التحتية اصابها دمار شبه كامل أرغم سكانها البالغ عددهم ١٣ الفاً الى مغادرتها واللجوء الى نحو ٣٩ قرية تشملها محافظة غراداتشاتش ويسكنها ٥٦ الفاً.

شوارع المدينة خالية باستثناء مقاتل هنا او هناك، او حافلة تحمل جنوداً في طريقهم الى وحدتهم او عائدين منها. فيما توقف عن العمل من أشهر مصنع للازياء هو الوحيد في البوسنة – الهرسك كلها، ربما في يوغوسلافيا القديمة. فيما فكّك الاهالي مصنعاً لقطع الغيار «مرسيدس» عند مداخل المدينة ونقلوا آلاته وأعادوا تركيبها في منطقة اخرى حيث تستخدم الآن لإنتاج أنواع محدّدة من السلاح.

الشيخ آدم حاجيتش إمام المدينة عضو حزب العمل الديموقراطي (اسلامي) ونائب البرلمان البوسني غادر منبر مسجده الذي اصابت مئذنته قذيفة صربية ليتقدم صفوف المقاتلين في الوحدة السابقة المسؤولة عن التدخل السريع والمكلفة امداد نقاط الجيش الضعيفة بالسلاح والمشاة في وقت الحاجة. وهو بطل إحباط «عملية القطار» الشهيرة، فقد حاول الصرب خداع المسلمين واقتحام المدينة بقطار ضخم مزود أعداداً كبيرة من السلاح والمقاتلين ويسير بسرعة كبيرة الا ان فرقة الشيخ آدم اجهضت العملية وغنمت كميات ضخمة من السلاح وقتلت مجموعة كبيرة من الصرب. ووقعت هذه العملية في الشهر العاشر من العام الماضي، وصوّرت على شريط فيديو.

ويرى الشيخ ان الاصرار الصربي على احتلال المدينة لا يعود فقط الى انها تقع على الممر الاستراتيجي الذي يربط صربيا بالاراضي البوسنية المحتلة. وقال لـ «الحياة»: «ان غراداتشاتس رمز لاستقلال البوسنة – الهرسك، فمن هنا اعلن حسين قبطان استقلال البوسنة – الهرسك عن الاتراك عام ١٩٣١ ليكون بمثابة اول رئيس للبوسنة الحرة. واستمر كذلك ثمانية شهور الى ان عادت الامور الى ما كانت».

ويعتز اهل المدينة بذلك اذ يحيطون «قلعة حسين قبطان» ومسجده و«مدرسة مراد قبطان الاسلامية» (مدرسة اخيه) باهتمام شديد ويعتبرونها اهم الرموز. ويبدو ان التناقضات العرقية في البوسنة – الهرسك والتي كانت سبباً في هذه الحرب المأسوية قد ذابت في غراداتشاتش، فعلى بوابات الوحدات العسكرية تجد العلمين البوسني والكرواتي يرفرفان، علماً ان القائد العسكري للمنطقة كلها كرواتي، فيما يبلغ عدد المقاتلين الكروات بضع عشرات بين آلاف من المقاتلين المسلمين في المنطقة. وانشئت ايضاً قيادة عسكرية مشتركة بين الجيش البوسني ومجلس الدفاع الكرواتي ليبدو ذلك في سياق تأمين الدفاع عن المنطقة واستمرار ايصال السلاح اليها.

وحاولت «الحياة» اجراء حوار مع القائد الكرواتي ويدعى ايفان مياتش فاعتذر، الا انه طلب ان تلتقط له صورة شخصية وهو يقف الى جانب سيارته الخاصة ببذلته الانيقة... وبعدها توجهت «الحياة» للقاء المقاتلين في خط الدفاع الاول.

المسافة بين مركز الوحدة المقاتلة التي كانت

التتمة في الصفحة (٤)

ISSN 0967-5590
08
9 770967 559040